سالم أحمد الأوجلي

شهوة السكين

قصص قصيرة



شهوة السكين

سالم أحمد الأوجلي

شهوة السكين

قصص قصيرة

الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان

شهوة السكين

سالم احمد الأوجلي

ـ الطبعة الأولى: الفاتح 1430 ميلادية (2000)

ـ كميـة الطبـع: 3000 نسخة

ـ رقم الإيداع المحلي : 4529/ 99 دار الكتب الوطنية بنغازي

ـ رقم الإيداع الـدولي: ردمك 7 ـ 0056 ـ 0 ـ 9959 ISBN

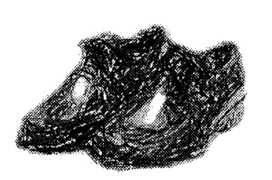
ـ تصميم الغلاف والرسوم الداخلية للفنان: محمد بن الأمين

الـدار الجمـاهيـريـة للنشـر والتـوزيـع والإعـلان

مصراته: هاتف: 614658 ـ 051 ـ 606086 ـ 021

ص.ب. 1459 ـ بريـد مصور 619410 ـ 051

الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الإشتراكية العظمى



رحلة قديمة بحذاء جديد



رحلة قديمة بحذاء جديد

كبرت كثيراً، منذ زمن بعيد نما شعر تحت إبطيَّ وفي وجهي. ولولا صور التقطها أناس لم أعد أعرفهم لما تذكرت وجهي عندما كنت طفلاً.

قلت لي:

كبرت سريعاً، أنت مهموم.

كنت أقول:

ليس الزمن دوران كرة الوحل حول ذاتها، دوران القمر حولها، دورانها حول الشمس ـ زمني دوراني ـ لي فلكي ومجراي؛ الأفكار، الكوابيس، الضحك أمام المرآة والبكاء تحت الغطاء، المشي اللامبالي في شوارع الغولة، التهاوي تحت ثقل لم أستطع حمله. سنوات. قرون. دوران ذاتي

حول بذرة أو دمل، ثم رمي كل هذا تحت سرير ملاءته نظيفة ومرتب هو وجهي.

بعض ضيوف المرء يملكون وجوهاً/ أسرة كسريره. أيديهم تمتد، ترفع الملاءة وتنظرإلى أسفل:

ما هذا؟!

* * * *

تبتدىء الصداقة بتواطؤ مريب.. بسرٍ تافه يشبه الكذب.. وباتفاق على عدم إثارة الغبار وأنت مُنْحَنٍ فوقه.

عندما ودّعتني آخر مرة قلت:

سآتي في الأسبوع القادم.

دائماً كان هناك أسبوع قادم. ولم تكن هنا.

* * * *

وكانت رياح من زجاج ورياح من عاج وأخرى من لحاء الشجر تحمل أخباراً غامضة عن أناس يموتون مرضى حب، قتلى حرب أو في سباق الخيول المعدنية.

شَمَمْتُ كل ريحٍ مرّتْ.. لا ريحَ حملت خبراً..

سنوات انتظرت، توجستُ. . تركتُ الباب مواربًا والنور مُضاء.

* * * *

تجمع ما تساقط وخفَّ وجفَّ ودومَّ عالياً، ريحٌ هبت.
نداء:

ـ اصعد الجبل.

الريح عرافة الدهر: اصعد الجبل.

لا السماء كتاب ولا التراب ذاكرة. نداءٌ يقينٌ كالريح.

* * * *

كانت رياح الجهات الأربع تهب على المستنقعات في البر الرخو.

القبلي يأتي بصراخ من أكلهم الرمل.

والبحري بصراخ الغرقى.

وإذْ يتعزى الصراخ بالصراخ تهدأ وترحل فيما تظل بضع رياح صغيرة عجزت عن الرحيل تقتات من أزهار الحنظل الصفراء.

* * * *

قرأت عن رجال يرحلون بحثاً عن دم أو تراب، لكل نداء وعصا، تميمة، حصان، كلب... أي شيء يعلكه أو يركبه بطريقة ما.

بدأت أستعد لصعودي، اخترت يوم خروجي يوم عيد ملء البطون بالطيبات، وتزودت لرحلتي بفأل حسن؛ حذاء جديد، مناسب تماماً لقدمي بني فاتح لونه كلون الأرض التي أقصدها.

أنا وحذائي الجديد في قدمي، بجيبي ما يكفي لسفر يوم واحد، وأوراق بها صورة وجهي مختوم بأختام تعين علي اجتياز الطريق.

* * * *

مضى زمن طويل على ذلك. دورات كثيرة لريح وأرض ورأس. دوران دوار. الماء يمحو ما تكتب الريح، الريح كنست الأثر الواهي لأقدامنا. النداء الخفي قاد الخطى كما جر اللسان.

* * * *

أذكر وجهه بجانبه الأيمن فقط. قرب المقود صورة في إطار صغير، بدأ فيها فتياً هانيء البال.

السرعة التي قاد بها السيارة ـ صفير الريح في أذني ـ إيغالي شرقاً عبر طريق جبلي يصعد ملتوياً:

دوار.

عيناي مغلقتان. أرى أشكالاً مضيئة في فضاء شفقي. ذرات تتفجر، ينتشر ريش. زغب طيور أصفر. يتكثَّف.

نقطة.

القرية التي أريدها ليست نهاية الطرق، أنا أكثر الركاب عجلة، ركن السائق سيارته:

ـ هذي قرية الفزعة. معاك دبش؟

ـ أنا.. فقط.

* * * *

عاودني دوار الطريق إذْ رجلاي تمشيان على درب ترابي تتبعان آثار أقدام مبهمة، وإذْ عيناي على اتساع حدقتيهما تحفران تفاصيل المشهد على زجاج الذاكرة الهش، وإذْ لا هدير إلا الصوت الخافت المكتوم لحذائي.

الدرب يصعد وبيوت الفزعة بدت الآن على صفحة

ماء الصمت الصافي الحصى الصغير تحت قدمي يحدث دوائر دوائر.

* * * *

أسمع الصمت. العين لها جفن. الأذن لا جفن لها. عين بلا جفن، لا ترمش أو ترف. مفتوحة أبداً. تسمع وتسمع حتى الصمت. ما أن تتطمئن الأذن إلى الصمت حتى تفيء إلى الظل الكسول وتجتر ما التهمت من أصوات.

أرى الصمت صحراء. فهل يكون النداء سراب الأذن؟

* * * *

هادئة كمقبرة.. في أعلى قمة ضريح ميت. قبة بناها مجهول على عجل، تكاد تنهار، ما يسندها غير رجاء يائس...

كأن عيوناً ترقبني. كأن امرأة تنادي.

* * * *

أنا لم أصعد من قبل. أنت من كان يهبط إلى أرض المستنقعات.

ـ تعال. استرح. أرفع الملأة وأنظر ما تحتها.

كنت أقول بلغة السر.

تشرب قهوتك، أين نحن الآن؟ في كهف معلق أم بالطابق الرابع؟

تحتنا وادٍ تجوس فيه الضباع أم إسفلت قذر بطفح مياهٍ سوادءَ ومواء؟

من الذي يصدر عنه هذا النواح العواء هل الذئبة في أعلى الجبل أم زوجة جاري السكير؟

* * * *

كلام يذوب من تعب الكلام، وكشف يفسده التثاؤب ويهال تراب النعاس على أحداق الرؤى.

* * * *

يبسَ البن في فنجانك ونما فطر أخضر.

* * * *

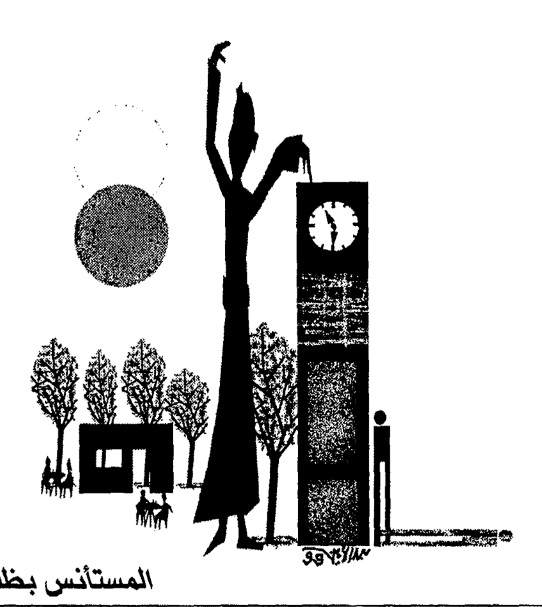
ذلك في زمن غابر، دوراني لا يؤرخ، نجم مظلم يدور في مجراه يجذبه نداء ويدفعه رعب. نجم مظلم يركض على إسفلت الشوارع.

* * * *

أصابعي فرحة تتحسس الحذاء. يتحرك الإصبع الأكبر للقدم اليمنى يرد الذي باليسرى بذات الحركة.

فيما الرحلة حذاء الروح.

* * * *



المستأنس بظله



المستأنس بظله

استأنس بظله إذ خرج. كانت الشمس في انحدارها نحو الغرب وأسراب الطيور تعبر السماء.

من أين؟ وإلى أين؟

في نزهة ظله لا يدري محني الظهر ما السماء؟ ومن أين كل هذه الطيور. ظله بالأمس تقشر وسقط عنه. وظله اليوم يتبعه كسلوقي أسود.

يعبر به شجرة خروع كبيرة يبرز جذعها من أرض أسمنتية. ويعبر مقلب قمامة بارتفاع مترين أسفله جيفة شاة منتفخة.

يبدو المقلب كنصب مؤقت لاحتفال ملغي. يجاوزه يمشي حذو سور ممتد ينتهي عند مسجد قيد البناء لم يقم

منه غير دور تحت مستوى الأرض ولافتة تقول: مسجد الإمام الحسين.

ظله يمشي عن يمينه في شارع طرابلس المؤدي إلى قلب المدينة.

يمر بمطعم عمر المختار الذي يقدم السندويتشات والدجاج المحمر. ثم بدكان تنجيد أمامه مقاعد مبقورة الأحشاء، ثم بمطعم صلاح الدين للفول والفلافل.

ويمشي قدما. بحذر عند تقاطع شارع طرابلس مع شوارع أخرى. وباطمئنان تحت لافتات متاجر لبيع الدواء، للإطارات المستعملة، للفخار الغرياني، لغلال أنبتها مطر عجول، للحم يقطر دمه تحت الساطور ورؤوس عجول لم تفطم..

عند تماس شارع طرابلس بشارع بنغازي ـ في الدوران ـ تقف سيارة شرطة ببابها شرطي ينظر من خلال صافرته.

يكمل سيره نحو حديقة ميدان النصر وسوق اللفه. الرصيف الخارجي للحديقة تفترشه نسوة أفريقيات من وراء الصحراء يعرضن أعشاباً ومراهم وأصنافاً من البخور. وأمام علب كرتون كبيرة أولاد يبيعون الرياضي والمالبورو بثمن

غال وهانيبال[1] بثمن بخس. وعلى طول الرصيف أشجار الفيكس أغصانها المتدلية تعيق المشي تحتها.

يعرج داخل الحديقة. من مرمرٍ وشجرٍ هُندس المكان ممرات المشاة تتخلل أحواضاً مرتفعة من مرمر أبيض بعروق حمراء. مرمر منزوع ومتكسر في مواضع عدة وشجر يتغذى بأوراقه المتحللة يظلل ممرات تفضي إلى سوق يشرب عرق الوافدين الغرباء وينمو.

يقفز متجاوزاً قناة مائية بلا ماء تجمعت بها أوراق شجر وعلب سجائر فارغة، مجرى القناة يمتد ثم يرتفع إلى حيث نبعه الجاف تحت برج ألمونيوم نحاسي اللون يحمل في كل جهة من جهاته الأربع ساعة مستديرة ميناؤها أبيض وعقرباها سوداوين، عقرب الساعات قصير وعقرب الدقائق طويل. أربع ساعات أعلى من نخل المدينة لا تدور.

ظله يشتبك مع ظلال الشجر ويتناهى من بين أوراقه صوت (أم كلثوم) تغني فيما الشمس تواصل دورتها وعتمة خفيفة تتسلل.

---

(1) رياضي، مالبورو، هانيبال أسماء لأنواع من السجائر.

باحة الحديقة في ركنها كشك خشبي مطلي بلون بني غامق وفي أطرافها قرب مصاطب الجلوس المرمرية طاولات وكراسي بلاستيكية بيضاء.

يشغل أقربها إليه أربعة رجال أفارقة يشربون مزيج الموز والحليب بتلذذ، والتي يليها: اثنان شقراوان من أوكرانيا يشربان القهوة.

بلاط الباحة يشرب ظلال الشجر والبشر ببطء.

يجلس مواجهاً الكشك الخشبي ـ خلفه برج الساعات، يعبر الباحة طفل يقود دراجة بجرس يصلصل. ومن حيث اختفى يخرج رجل (ينظر في داخله) بلحية قصيرة ابيضَّ سوادها وجلابية اتسخ بياضها وعمامة قماش أخضر تلف رأسه يمشي بخفة طيف إلى الكشك الخشبي.

يهمهم، يشأشأ يفأفأ بكسر حروف ويقول النادل: تفضل يا سيدي ويناوله كوباً من مزيج الموز والحليب.

يقف يشرب قدام شباك الكشك، يتطلع إلى حيث الساعة التي لا تدور وحيث تحوم أسراب عصافير وإلى أعلى من ذلك، يرتفع غناء (أم كلثوم) ودارت الأيام.

المستأنس بظله يرى الرجل الناظر في داخله يضع الكوب فارغاً في حافة الشباك ويمسح فمه في كمه ويتقدم خطوتين يخلع حذاءه ويتقدم خطوتين يخلع عمامته ويتقدم خطوتين، يلف وسطه بالعمامة ويتقدم خطوة في قلب الباحة، ينظر إلى أعلى عميقاً في السماء، تمسك أم كلثوم عن الغناء.

يمشي حافياً على بلاط الباحة يدور جهة القلب، مجذوباً يدور، يده اليمنى تشرع سبابتها ترسم دوائر صغيرة. صغيرة. أصغر بحركة من إصبعه فقط ثم بذراعه كلها دورة واسعة يسحب يده للخلف يطعن بإصبعه مركز الدائرة يده اليسرى منسية، قدماه حافيتان تحت جلابية بيضاء متسخة.

مجذوبٌ بقلب الباحة مشدودٌ ينظر في لا شيء يحدث لا أحد. دوران أخرس متواصل لا ناي يعزف لهذا المولوي البري، لا شيخ يرشد ولا فتىً مريدْ.

يفيض دورانه، تتعب قدماه، يتوقف. يمشي ينتعل حذاءه يفك عمامته ويجلس إلى مصطبة. يجفف عرقه.

يحل ظلام يفقد المستأنس بظله ظله يشعل النادل في الكشك ضوءاً أصفر كابياً تدوم حوله حشرات الليل.

تفرغ الطاولات من جلاسها وتموت ضجة السوق البعيدة ويرحل المجذوب من حيث جاء ويلملم النادل ما بعثره النهار ويغلق كشكه.

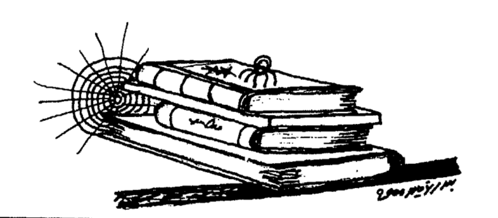
يقوم الذي راح في الظلمة ظله، يخلع حذاءه ويمشي مرتعشاً إلى قلب الباحة يدور دورة ساعة بعقرب وحيد، متخيلاً ساعة هائلة بعقارب للثواني والدقائق، الساعات والأسابيع، الأشهر والسنوات والقرون.

يدور وينظر إلى ساعة معطلة في سماء سوداء ويصرخ:

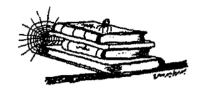
ـ يا ساعة البرج دوري.

فيعيد المرمر صدى صوته:

يا ساعة البرج دوري.



فتات



فتات

في الدور السفلي من بناية قديمة. في حي غريب عليّ، في المدينة التي لم أغادرها في البلاد التي أحبها، أقول:

ـ إني أعيش.

بذكريات عن أصدقاء مصادرين وبسجائر تطرد رائحة البيض الفاسد لهواء المدينة، وبزوجة لها عيني صقر سجين، وبطفل يحبو على البلاط البارد أقول:

ـ إني أعيش.

فتشت جيوب ملابسي بحثاً عن بقايا نقود؛ لم أجد. الكتب المكدسة. تحت الطاولة وفوقها في زاوية الغرفة

حيث أرفف من خشب بناء تغطيه أوراق صحف لاتباع. خاتما الزواج، أكلهما الطفل حليباً مجففاً وبطاطس مطبوخ.

في البلاد التي أحبها، في المدينة التي لم أغادرها، في الحي الغريب، في الدور السفلي من البناية، في غرفة كتبي ونومي كان أن انبطحت، وامتدت ذراعاي. لامست خيوط عناكب عششت بين أكداس الكتب واستنشق أنفي غباراً رطباً. أعطس يهتز رأسي، أبداً أبحث تحتها. تجوس يداي في الظلمة الرطبة.

أفكر: تحتها، فوقها، تحتها، فوقها.. (يوم رأيتها أول مرة أوقفت مشي السريع، كانت في ركن المحل، تأملتها، جميلة رائعة. بعد ساعة كانت في بيتي، منحتني بهجة صغيرة).

تقاطعني من لها عينا صقر سجين: ها..؟

أقول: لا شيء، ما زال.

أشرد، أغيب، يداي تبحثان ببطء ومداومة لا أتجاوز محط إصبع. تتسلط الكلمتان عليَّ: (فوقها، تحتها، فوقها، تحتها). أتذكر صغيري الذي يحبو والشاعر الذي له عنق طويلة لو مشى على أربع في طرقات المدينة لطار بجناحي

نسر في سماء الشعر. حسبما تكون ترى (فكرة أصيلة!) أهتف في داخلي.

(سأبحثها فوق).

(لو أجرَّها خارج هذا الضيق). تعثر يداي على دبوس، فتات خبز يابس. خبزٌ؟ لا أريده فتاتاً يابساً لوثته الصراصير.

بإصبعين فقط أتحسس، ألمس، أُمسك شيئاً أعرف ملمسه ورقة ربع! لا.. نصف، لو يكون [سيدي عمر..].

أبدأ أخرج وأرتفع ببطء، ظهري متيبس، أقوم من تحت إلى فوق أستند على حافتها.

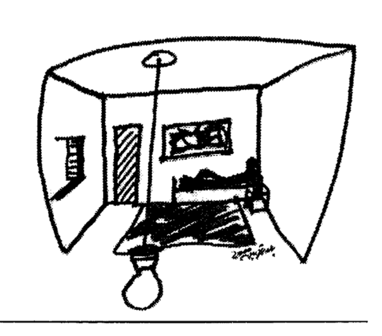
عينا الصقر تبتسم: أربع خبزات بسرعة.

أفكر أن أمشي على أربع. أقول: لم يصنعوا أحذية لليدين بعد. من العتمة الرطبة التي أسميتها بيتي إلى المخبز أمشي، مع كل خطوة أعود عاماً للوراء.

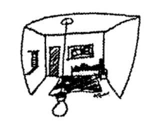
أقف أمام الخباز طفلاً في الرابعة من عمره:

ـ (دالْتلت أمي آتيني أَلْبَعْ حبزات وَلِدْ البَادِي)(*).

(*) قالت لك أمي أعطني أربع خبزات ورد الباقي.



مرايا أكاكوس



مرايا أكاكوس

حين انحرف السائق تاركاً الطريق الساحلي إلى آخر فرعي، قابلتني لوحة معدنية صدئة «المدينة المجاهدة ترحب بكم» بعدها امتدت أرض سبخية نثرت الريح على نباتاتها الملحية أكياس قمامة سوداء، زرقاء، صفراء.

على الجانب الآخر من الطريق أسوار شركات بناء على مداخلها لافتات بلغات شتى، كورية، تركية، هندية.

فكرت: هنا تبني مدينة كما تنصب خيمة على عجل، فالقبلي لا أمان له.

* * * *

سلمت موظف الاستقبال بالفندق بطاقتي وأخذت مفتاح غرفة، قال:

ـ في الطابق الثاني على اليمين.

كان يواجه مكتبه ملصق كبير لجدار من جدران كهوف أكاكوس[1] «ودان هائل الحجم وصيادون بسهام وقسي وكلبان يقفان على قوائمهما الخلفية يثبان على الودان[2] الذي انغرز سهم في رقبته».

توقفت مأخوذاً بفن ما قبل التاريخ وروعة الطباعة الإيطالية.

* * * *

غرفة بسريرين، واحد في الظل، والثاني تستلقي عليه شمس حارة، اخترت الذي في الظل وتركت النافذة مفتوحة.

أيقظني عواء عال: واوي واوي واواي وي وي وي واوي، نظرت من النافذة، العواء أبتعد والعربة التي أطلقته كانت تغمز بعين وحيدة حمراء.

الشمس تغرب، غادرت سريرها قبال النافذة ورأيتها

(1) أكاكوس: جبل قرب غات، جنوب غرب ليبيا.
(2) الودان: الخروف الآروي أو الماعز البربري. سمي نسبة إلى ودان بصحراء ليبيا.

تتوارى خلف قضبان رافعة حديدية عالية.

عدت للسرير مفكراً في لقاء الغد، رغم الموعد المسبق سيناور الحاجب كثيراً قبل أن يأذن بالدخول، لدي خمسة سيناريوات جاهزة للاحتمالات الخمسة القوية، حجج رفض الأول مدخل لقبول الثاني، المناورة باردة مع حاجب كدمية عرض الملابس أما مع المحجوب..

أخرجت من حقيبتي بيضاً مسلوقاً وجبناً وزيتوناً وخبزاً، وجبة محارب.

مات جوع الليل وأبقيت شيئاً لجوع النهار التالي.

* * * *

في أول الصباح جمعت نفسي اغتسالاً وأكلاً ولبساً، قلت:

ـ نظرة أخيرة للمحارب قبل النزال.

في ركن الغرفة بعد صوان الملابس منضدة زينة ومرآة. إطار خشبي تزينه نقوش محفورة بلا مرآة. الجدار خلف فراغ الإطار، ولا مرآة.

* * * *

أغمضت عينيٍّ أستعيد آخر ابتسامة، ثبتها جيداً على وجهي، ودَّعت المرآة/ الجدار، وخرجت للقاء الحاجب والمحجوب.



مدرسة قرب أعشاش الطيور



مدرسة قرب أعشاش الطيور

يوم تذكر والده أن الولد كبر وينبغي إرساله إلى المدرسة كان قد جاوز السبع سنوات، وامتلك أكثر من أربعة عشر زوجاً من الحمام، وعرف كثيراً من أعشاش الطيور في صف أشجار السرول المحاذي للطريق الوحيد المعبد، وبين أعواد الأسل والقصب بالسبخة.

كانت له بشرة سمراء وعينان براقتان ونظر حاد لقط صياد، حليق الرأس إلا من شوشة، خصلة شعر طويلة سوداء تركت تتدلى من قذاله.

ادخلوا ساقيه النحيلتين في سروال رمادي جديد دسوا فيه أطراف قميصه الجعد ومسكوه حقيبة جلدية قديمة بها كراسة وقطعة خبز.

ـ أنت تعرف المدرسة التي قرب سوق الطيور.

دار الولد وجال، في طريقه للمدرسة قلقاً على حمامه فرحاً بالسروال الجديد والحقيبة.

عند أطراف السبخة حيث نما الأسل والقصب كثيفاً رأى عشاً لم يره من قبل، كان مشغولاً بمهارة معلقاً كسلة في أعواد القصب، بداخله فرخان جائعان بريش خفيف بدأ يأخذ ألوانه بين الأسود والرمادي.

فتت وبلل كسرة خبز وزقَّ الفتات في المنقارين الجائعين وأرسل بصره في المكان، لا أثر لصاحبي العش.

خبأ الفرخين بعناية في الحقيبة وهما يصوصوان ويحاولان التفلت.

كان اليوم الدراسي قد بدأ حين عبر إلى فناء يتوسط حجرات أبوابها ضيقة، أطبقت يد فراش المدرسة على كتفه وجرته إلى الناظر. سأله عن اسمه ووجهه إلى إحدى الحجر.

رآها مكتظة بالأولاد معتمة رغم النافذة بقضبانها الحديدية حادة الحواف. نظر إليه المعلم بضيق وصرخ فيه:

ـ اجلس هناك.

انحشر في مقعد بين ولدين آخرين. في الزاوية قرب السبورة ولدان الأول يرفع يده لتهوي عليها عصا المعلم.

آ... آخر مرة... خلاص.

ويصرخ المعلم:

ـ يدك الأخرى.

الولد الآخر بال في ثيابه وهو يجاهد ليختفي في الجدار.

جذبه ولد يجلس خلفه بشدة من خصلة شعره.

أي.

التفت إليه المعلم:

ـ تعال.

قام يتقدم فيما يده لا تزال تقبض على الحقيبة.

ـ قرب.

اقترب. شده المعلم من خصلة شعره بقسوة. سقطت من يده الحقيبة، صوصو الطيران بداخلها. ارتخت يد المعلم.

ـ افتح الحقيبة.

تذكر الطيرين وأعشاش حمامه وفراخه وأحس بزهو وهو يفتح الحقيبة الملقاة على الأرض.

خرج الفرخان يجريان بين أقدام الأولاد. تحركت المقاعد وسقطت الكتب والأقلام.

خاف على الفرخين جرى يزحف خلفهما، حضنهما في يده ونهض.

ـ تعال.. تعال.

ـ طيرين لقيتهم وأنا جاي للمدرسة.

ـ هاتهم.

مد الفرخين للمعلم. ورآه يرميهما من النافذة وسمع الصراخ الضعيف للفرخين وهما يسقطان، ورأى نفسه يجر من خصلة شعره ورأسه يلتصق بقضيب النافذة.

حين ابتعد المعلم كان مربوطاً من شوشته إلى القضيب وعيون الأولاد تحدق فيه مشفقة.

صرخ المعلم:

ـ اضحكوا عليه.

وهز عصاه. اختنق الولد وبكى واستعطف.

صرخ المعلم:

ـ زيدوا اضحكوا.

انتفض الولد وأسقط جسده إلى أسفل. قطعت حافة القضيب خصلة الشعر . . . وتحرر وهو يلهث.

وقف بباب الحجرة. التفت إلى المعلم المباغت.

ـ يلعن ديكك وديك المدرسة.

وطار تاركاً خصلة شعر تتدلى من قضيب النافذة.



دموع القبلي



دموع القبلي

ورق كرمة العنب الجاف يخشخش على سطح الدار، وهواء حار يهب من جهة الجنوب، ومطر بحبات ثقيلة متناثرة يساقط.

خدر في أطراف تستيقظ إثر كابوس خاثر، روحي تتمطى.. أحاول تذكر الكابوس. سيأتي القبلي عنيفاً هذه الليلة وأرواح الأسلاف الغابرين ستزورني.. هنا في هذه الغرفة فوق سطح الدار. ستركب القبلي وتأتي أرواح قديمة، لتجار العاج والرقيق لأتباع الصوفي زروق، لمدمني اللاقبي، غارسي النخل، طامري الذهب، جامعي الصيص، كلها ستعوي وتصفر من خلال شقوق النافذة والباب، تتسلل راكبة مطايا غبار.

في واحة عتيقة ولد أبي، وولدت قرب تكسر الموج عند المنارة. حرب ومجاعة جاءتا بأبي إلى الساحل، ترك رطانة الصحراء واستقر عاملاً بالميناء.

كابوس خاثر أفسد نومي.. لا شمس ولا نهار ولا ظلمة، ضوء يصدر عن الأشياء ذاتها.. الطرق والبنايات العالية والأسوار. لا ريح، من كل طريقٍ أعبر تدخل أذني أصوات طبول وأبواق وأناشيد تأمر بموت الجميع لأمر ما. أريد أن آكل، في مدخل فرن أمد يدي أسلم على رجل أعجف ملمس يده تراب.. تراب يكسو جسدي. أمسح يدي بسروالي ينثال تراب، أمسح يتكوم عند قدمي تراب. أرى سلال خبز كبيرة، أناس يأخذون منها وينسلُّون. أراني أقترب. السلال ملأى بخبز مستدير تماماً ومربع ومستطيل، وجه الرغيف مطبوع بألوان زاهية أخبار وصور، أقلبها بيد تسحُّ تراباً، جائع أفتش عن رغيف أبيض. من الخلف كانت متفحمة. الأعجف يضربني على كتفي لآكل، أهز رأسي لا أريد. يأخذ رغيفاً مطبوعاً يحاول حشوه في فمي. أريد أن أصرخ: لا... يا.... يملأني رغيفه المطبوع، أختنق... و.

* * * *

سيأتي القبلي عنيفاً، دموعه التي هطلت تنبىء، يسوق علي عجاجه أرواحاً لا تحتاج لجلسات استحضار.

عجوز رامبرانت ملصق على الجدار ينظر ناحية مسيح مايكل أنجلو المتداعي، وفريدرك شوبان ينبعث موسيقى من المسجل.

خلف رأسي، أرفف الكتب مصنفة وفق أحجامها كما طوابير الجيش، أغلبها معارف وزملاء حيرة. ويوجد شيء من الحقد ونظرات الازدراء للبعض. الحميمون والذين كانوا حميمين ومن أحببت طيبتهم كانوا في الأرفف خلف رأسي، طاغور وتولوستوي، كافكا، شكسبير، ميللر، إبسن وبريخت وبيكت. من لا يعنيهم القبلي. ولن يأت بهم.

* * * *

قبل الغروب سيصعد الدرج عائداً من الميناء، سيعتني بفسائل النخل المغروس في علب الحليب المجفف، وسيتوضأ بماء المطر الذي جمعه من شتاء قصير، ويمضي إلى المسجد، ليرجع بعد العشاء، وينام مستعيداً ما استنفده النهار، يرد للبواخر الراسية كل ما حمله على كتفيه من صناديق وأكياس لا تساوي تعبه، حالماً بواحة من نخيل

فوق سطح الدار وفي أذنيه صخب الأمواج.

* * * *

الطرقات والشوارع خلت، غلِّقتُ النوافذ والأبواب. ليل أُغبر. رياح القبلي في عنفوانها اللاهب.

أنغام البيانو في معزوفة شوبان تختلط بكركبة العلب الفارغة في الشارع.

الريح تأتي من أعلى تضرب وجه الطرق المترب. وتنزلق فترفع عالياً بقايا الورق والصحف تحت الضوء الأصفر الغارق في العجاج الآتي من السهول والأودية الجافة مرتفعاً في دوامات وانكسارات.

مالئاً كل فراغ. العجاج: ريح وأرواح. الملابس المثبتة على حبال الغسيل اغْتُصبت في القبلى. سراويل الرجال ملأتها أرواح لها شهوة أنثى وأرواب النساء احتضنتها أرواح عطشى للإخصاب.

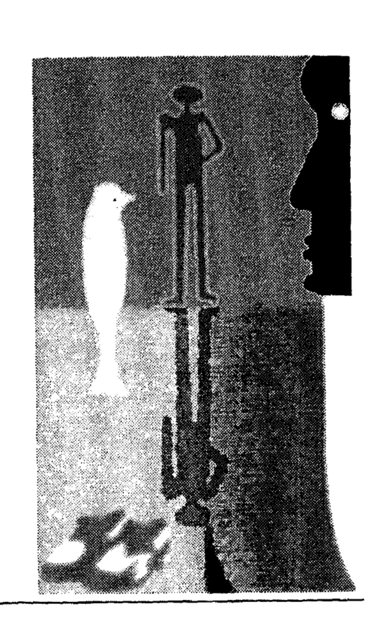
* * * *

دخلوا مندفعين من أسفل الباب ومن شقوق النافذة، في صفير يعوي اهتزت لحية عجوز رامبرانت، والدم الطازج لمسيح آنجلو جفَّ، وغصَّ بيانو شوبان بالغبار وتوقف.

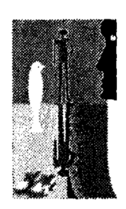
دومت ريح أرواحهم في فضاء الغرفة. ارتفعت عن السرير خفيفاً.

انفتح الباب واهتز سلك المصباح الكهربائي المعلق. عبرت أمام المرآة رأيتني سحابة غبار دفعتني الريح خارجاً، مدوماً عالياً، أكثر خفة.

رأيت أشجار السرول على حواف الطرق تتقصف وتسقط. مدوماً إلى أعلى كانت المدينة تصغر.. مجرد كومة من الطوب الجيري والعلب الفارغة.



شهوة السكين



شهوة السكين

ضربة سكين حادة سريعة شقت ملابسه وفتحت بطنه.

يداه لامستا الجرح الأفقي الطويل. وغاصتا في نعومة وحرارة الجرح.

هَلَعَ وتهاوت ساقاه إزاء ملمس بطنه المبقورة.

استيقظ، تحسس بطنه بيده، استعاد ألفة الملامسة لبطن مشدود الجلد وتنهد بارتياح ثم عاد فارتاع لمجرد التفكير في قدرة السكين الهائلة على الذبح، في العنف الضاري، البارد في شفرته، وفي شهوته الشيطانية للحم.

* * * *

تذكر. يوم عيد الذبح، خروف العيد مربوط في فناء

البيت. يعود أبوه من الجامع وضاءً في (جرده) الأبيض يتضوع منه المسك، يدخل إلى غرفته يبدل ثيابه ويخرج رجلاً آخر في ثياب قديمة يأتزر بقماش رث. يخرج من حقيبة مدرسية قديمة سكاكين عدة للذبح والسلخ والتقطيع. يتحسس شفراتها بحذر. يأتي بسطل تراب يشكله حوضاً صغيراً. ويتقدم نحو الخروف المربوط.

قليلاً من الغبار ويرى الخروف أسقط على جنبه وأوثق وجرَّ إلى حوض التراب يلهث وينتفض ويطلق صياحاً عالياً (هل كان ينادي السكين).

سكين الذبح أمضى السكاكين وأطولها في يد أبيه.

ـ تعال تفرج تعرف الذبح.

متخيلاً السكين على عنقه هو، يظل بعيداً يراقب.

مضى السكين في العنق. شخب الخروف دمه، رأى نافورة الدم القاني تفر من مساربها الساخنة وتضيع مشكلة بركة صغيرة في الحوض الترابي يتصاعد منها بخار خفيف لروح تتلاشى.

سكن الخروف ثم انتفض بعنف والوثاق يشد قوائمه.

سمع أمه تقول:

ـ يا نوريتي يطلَّع في الروح.

تتجلط بركة الدم. يصمت عنق الخروف عن الحشرجة والنزف. يفك أبوه الوثاق عن القوائم فتندُّ عنها حركة ضعيفة.

تأتي أمه بإبريق الماء تصبه وأصابع أبيه تغسل السكين بعناية فيعود نظيفاً وبارداً، ويغسل عنق الذبيحة... من الإبريق ينزل الماء شفافاً (الماء والإبريق نفسه الذي يتوضأ منه).

ينزل على العنق المدمَّي ويتناثر سائل ليس دماً ولا ماء. ويد أبيه ترفع رأس الذبيحة بعينه المفتوحة ولسانه الوردي معضوض في إطباقة الفكين.

كتلة صوف هامدة يزحزحها أبوه إلى موضع جاف، وفي رجل المؤخرة يُدْخل عصاً بين الجلد واللحم، يخرج العصا ويضع فمه على الفتحة وينفخ بقوة زافراً أنفاسه تحت جلد الذبيحة، قوة أنفاسه تعيد تشكيلها؛ تستقيم الأرجل ينتفخ جلد البطن والصدر والكيس الصغير بكرتيه يكاد ينفجر، وتبدأ السلخ سكين أصغر وأكثر دربة.

تقطع الأرجل من عراقيبها وتفرد البطانة وقد سلخت ـ

تظل متصلة بالجسد من العنق ـ ويسمع طقطقة عظام الرقبة وهي تلوى.

الذبيحة معلقة تتأرجح والدم يقطر من العنق والبطانة البيضاء مفرودة يتوسطها رأس الذبيحة وأرجلها الأربع بأظلافها السوداء الملوثة بالزبل.

أمه خلف كانون الفحم قد رمت على النار كبد وقلب الذبيحة. تنغَّم نداءها:

ـ قرب خذ «شواية».

فيقبل وقد جذبته رائحة الشواء جذبة «الجاوي»[1] «للعيساوي»[2] يقضم بأسنانه قطعة من الكبد لم تجفف النار دمها.

* * * *

هلعاً من قدرة السكين الهائلة على الذبح نشطت ذاكرته.

(كان يلعب محاولاً صنع سيف خشبي أخطأ فأصاب

---

(1) صنف بخور منسوب إلى جاوه.

(2) العيساوي: المنتسب للطريقة العيساوية الصوفية المنتشرة في المغرب العربي.

السكين سبابته بجرح كاد يقطعها، كيف أخطأ؟ ولم كانت سبابته تحت السكين في تلك البرهة، أثمة جذب بين اللحم والسكين؟ رغبة عميقة للحياة النامية في سبابته للقطع! لما يشكل فتحاً لمعرفة جديدة هي موت!؟).

(الأيام الأولى لاستخدام شفرة الحلاقة. أمام المرآة وجهه اليافع غطته رغوة بيضاء والشفرة تقطع تفجرات الرجولة من ذقنه. يخطىء يجرح وجهه ويرى امتزاج حمرة الدم بالرغوة البيضاء، ويتعلم قوانين اللعبة، لعبة السكين واللحم).

* * * *

في مغطس الحمام والماء يغمر جسده الممتد تساءل:

ـ على أي شيء تغذى جسدي حتى صار بهذا الحجم؟

في بخار الماء الحار، تخيل أرواح أبقار وخرفان وطيور تطالب باسترداد أجسادها من جسده، ويداه تتحسسان بطنه.

* * * *

تجنب المرور أمام دكاكين الجزارة، وإذا اضطر تجنب النظر وحبس أنفاسه كي لا يشم رائحة اللحم المذبوح.

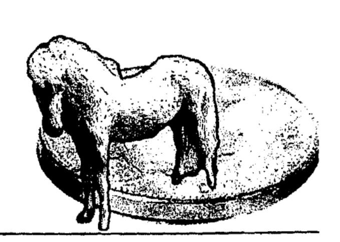
* * * *

ببطء يلوك بين فكيه الخبز وحبة طماطم، حاسباً الزمن الكافي لإحلال النبات محل الحيوان من جسده.

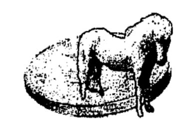
* * * *

رأى نفسه وسط مأدبة يأكل لحماً ويشرب دماً مسلوخاً من ملابسه، يده تمسك بسكين حاد تشق بطنه.

استيقظ مذعوراً مخنوقاً بالصراخ ويداه تغوصان في نعومة الجرح وحرارة الدم.



جواد على قطعة نقد



جواد على قطعة نقد

وعيتُ وهدير شاحنة يهز المكان، ابتعدتْ، وطغى من جديد صمت طريق مقفر.

وعيتُ أني كنت هكذا دوماً ـ بشكل ما ـ حَدَسْتُ الماضي والآتي. في سيارة قديمة ضئيلة، على طرق لا أعرفها، مرتبكاً عند جنود البوابات، ذاهلاً لاتساع الأفق.

كنت بعد مغيب شمس النهار أوقفت سيارتي على مبعدة من الطريق، في موضع يرتفع قليلاً، مرهقاً من ثبات المشهد طوال النهار؛ صحراء جرداء لا يميزها شيء.

نمت طويلاً وعميقاً، لكن الليل يبدو في أوله. مقدمة السيارة متعامدة مع شريط الإسفلت. أدرتُ المفتاح وهبطت السيارة إلى الطريق ببطء.

توقفت! إلى أين أمضي؟

المقود الدائري متحفز في يدي، لو اتجهت يساراً ربما عدت من حيث أتيت. . وإلى اليمين الاحتمال نفسه!!

أطفأت المحرك وهبطت من السيارة وتلفت حولي. ظلمة كثيفة باردة.

* * * *

في أول بوابة حين أعلنت عن وجهتي تفرس الجندي في وجهي طويلاً، وابتعد خطوتين وشمل السيارة بنظرة فاحصة ثم مد ذراعه ساخراً.

ـ طريقك طويل.

رأيته في المرآة الداخلية للسيارة يتضآل وأنا أبتعد. .

في البوابة الثانية جندي له هيئة ثعلب صحراء. فتش السيارة، دقق في الأوراق.

وفحصني بترو خبير، حين تعب أجازني:

ـ أنت غريب. .

في البوابة الثالثة جندي عجوز يدخن في ظل الجدار.

اقتربت مهدئاً السرعة فأشار بيد عليها وشم أفعى حاثاً إياي على مواصلة الطريق.

* * * *

على ضوء الفانوس الداخلي أخرجت من جيبي قطعة عملة معدنية: وجه يحمل رقماً والآخر جواداً يعتليه فارس.

راهنت على الجواد ورميت القطعة لتسقط من جديد في يدي، الجواد يسار الطريق والرقم يمينه.

* * * *

ركبت الجواد، ودار المقود جهة اليسار، وأنا أقود سيارة متهالكة بمؤشر عاطل لا ينبىء بمستوى الوقود.

الطريق على ضوء المصابيح يبدو مستقيماً، والظلمة أعمق. لم أدرِ هل كنت أرحل أم أعود؟

* * * *

تذكرت المدينة التي غادرتها، وتنفست بعمق، متحرراً من لزوجتها الرطبة. رطوبة صدع موبوء بالسفلس. كنت أبتعد نافضاً طبقات من ودك المدن.

كتبت استقالتي من قسم الإحصاء بالبلدية. حيث كنت

أحول الموتى والمواليد إلى أرقام ونسب، وأتطلع إلى المدينة من نافذة مكتبي فأراها أكثر تفاهة من بيت نمل يعيش على أجساد الصراصير الميتة.

كتبت استقالتي يوم كان علي أن أدون في السجل أنها ماتت.

وبعد أسبوع زرت قبرها، لأتيقن أنها ماتت وأن تنهداتها وسعالها وضحكاتها التي ظلت ملتصقة بالجدران هي محض أوهامي.

* * * *

وعيتُ أني كنت دوماً هكذا ـ بشكل ما ـ لا مدينة ولا أم. في ليل، في صحراء، في طريق بلا علامات، أكثر خفة من شبح وأثقل من كابوس.....

أتقدم وقد راهنت على الجواد.



سيجار الأماني



سيجار الأماني

وضع رأسه بهدوء على الوسادة، مديراً ظهره لزوجته.
الليلة هادئة والزوجة نائمة.

أغلق عينيه بهدوء وأخرج سيجار أحلام اليقظة الطويل، المعروف بجمرته الوردية التي لا تنطفىء.

أشعله بنار التوق، فانتشر دخان الأماني البيض. عبَّه في صدره كي لا يضيع، واستوى على عرش أمانيه بروح الراعي الكريم العادل.

(ظهر الفساد في البر والبحر) صرخ بصمت.

كان البر قفراً والبحر زفتاً، فأنزل الماء وفجر العيون فأينعت عراجين النخل وزهى الزيتون، وكشط بيديه عن زرقة الماء الزفت والقطران فانتشت نوارس واغتسلت شطآن.

ورأى الحرمان في عيون الأطفال والتعاسة في قلوب الأمهات والذل على جباه الرجال فصرخ بصمت، وأمسك بقطن العدل والرحمة يمسح.

ورأى زوجته تعاتب: نسيتنا يا أبا الأولاد. فقال بحنو صامت:

ـ قد ملأت بالأكل المطبخ والبراد.

وزفر شاعر متألماً:

ـ زرقة البحر والسماء جميلة والأشجار والنساء في الشوارع أجمل لولا . . . .

فابتسمت عيناه العارفتان وهمس بصمت:

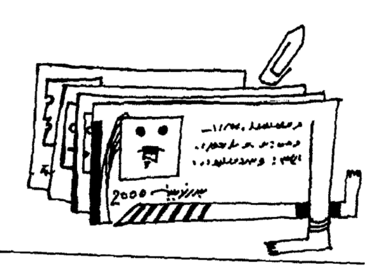
ـ أعرف سأْ.

وتوقف إثر خضة من كابوس يكبس الزوجة النائمة.

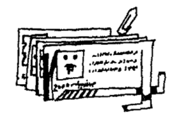
سقط سيجار أحلامه الطويل بجمرته التي لا تنطفىء على صدره.

صرخ بصوت عالٍ:

ـ والله نحلم.



بطاقات



بطاقات

دخلت بطاقة الهوية تتعثر خوفاً. سألها المكتب:

ـ أين الرجل؟

أخرجته من جيبها.

ـ ها هو.

ـ لماذا يبدو مختلفاً؟

ـ إنه يشيخ.

ـ مدة صلاحيته العاشرة انتهت. لم تأخرت؟

ـ لم يكن الرجل عندي.

ـ أين كان؟

ـ مع بطاقة العسكرية.

ـ وقبل ذلك؟

ـ قبل ذلك. . قبل. . ذلك. آ. كان مع بطاقة الخبز والأحذية.

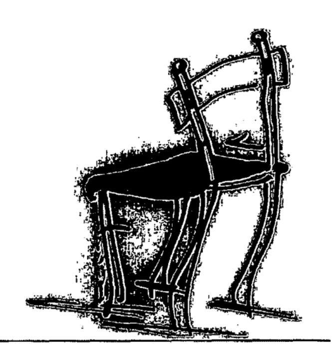
ـ يبدو شاحباً. هل هو مريض؟

ـ اسأل بطاقة المرض.

ـ هل قاسمتكم فيه بطاقة الكلام؟

ـ لا. . . بطاقة السمع فقط.

ـ عظيم. اتركيه في المستودع وعودي بعد أسبوع.



كرسي



كرسي

دخل كرسي إلى المقهى. طلب من النادل قهوة
نارجيلة.

تأخر النادل كثيراً. فأخذ ينظر إلى سيقان الطاولة بشبق.
ام إلى الكنيف. أفرغ شبقه وعاد. كان هناك كرسي آخر من
لنوع الثرثار.

ـ تسمح وَلْعة.

ـ سيجارتك والعة.

ـ آه. صح. سمعت؟

ـ لا.

ـ البنزين سيرتفع سعره مرتين.

ـ ما عندي سيارة.

ـ أحسن. كيف تمشي؟

ـ على أربع.

ـ تلعب دومينو.

ـ نلعب دومينو.

لعبا، فازا، خسرا.

أغلق النادل أبواب المقهى ووضع الكراسي مقلوبة فوق الطاولات.

ـ انظر.. المقهى مقلوب!!؟

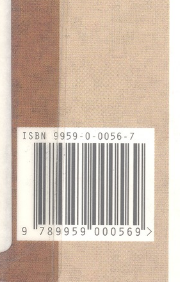
ـ صحيح. كل شيء مقلوب ما عدانا.

الفهرس



سالم أحمد علي الأوجلي مولود في 1961 بنغازي يكتب القصة القصيرة منذ عام 1979.
عمل بالصحافة والإذاعة المسموعة، يعمل حالياً في الدار الجماهيرية.
شهوة السكين كتابه الأول.

أنغام الطرقات والشوارع خلت . غلقت النوافذ والأبواب.
ليل أغبر ، رياح القبلي في عنفوانها اللاهب.
البيانو في معزوفة شوبان تختلط بكركبة العلب الفارغة في الشارع.
الريح تأتي من أعلى تضرب وجه الطرق المترب وتنزلق فترفع عالياً بقايا الورق والصحف تحت الضوء الأصفر الغارق في العجاج الآتي من السهول والأودية الجافة، مرتفعاً في دوامات وانكسارات مالئاً كل فراغ العجاج، ريح وأرواح، الملابس على حبال الغسيل اغتصبت ؛ سراويل الرجال ملأتها أرواح لها شهوة أنثى وأرواب النساء احتضنتها أرواح عطشى للإخصاب.





الدار الجماهيرية
للنشر والتوزيع والإعلان
AD-DAR AL-JAMAHIRIYA
FOR PUBLISHING, DISTRIBUTING & ADVERTISING
مصراتة: ص.ب. 1459 هاتف: 614658 - 051
بريد مصور: 619410 - 051
الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الإشتراكية العظمى